﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ [الرّعد: 40]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

العلاقة بين تثبيت الله ومحوه ما يشاء، وتذكيره بدلائل قدرته، الّتي يبلّغها الرّسول

لمّا ذكرت الآيةُ السّابقةُ أنّ أمّ الكتاب عنده ﷻ، وأنّه يمحو ما يشاء ويُثبت، وأنّ لا أحدَ يملك أن يُنزل العذابَ أو أن يَأْتي بالآيات؛ أتبعه بذِكْرِ نماذجَ مِن قُدرته على فِعْلِ ما يشاء، فقال ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾. ومنَ المناسبة أيضًا: أنَّه لمّا خُتمت الآية السّابقةُ بأنّه سُبحانه يفعل ما يشاءُ مِن تقديمٍ وتأخيرٍ ومَحْوٍ وإثباتٍ، وكان مِن مقترحاتهم وطلباتهم استهزاءً استعجالُ السّيئةِ ممّا توعّدوا به، وكانت النّفسُ ربَّما تمنّت وقوعَ شيءٍ مِنْ ذلك وإثباته؛ جاءت هذه الآيَةُ لبيانِ وقوع ذلكَ في حياتهِ ﷺ في حياتهِ وبعد وفاته؛ فقالَ ﷻ: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾[1].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نُرِيَنَّكَ﴾: الرّاء والهمزةُ والحرف المعتلُّ تدورُ اشتقاقاتُها على نَظَرٍ وإبْصارٍ بعَيْنٍ أوْ بَصيرَةٍ، فالرَّأْيُ: ما يَراهُ الإنسانُ في الأمْرِ، وجَمْعُهُ الآراءُ[2]، والرُّؤْيَةُ: إدراكُ المَرْئي، وذلك أضرُبٌ بحسب قوى النَّفس، والأوَّلُ: بالحاسَّة وما يجري مجراها، نحو: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾﴾ [التّكاثر: 6 - 7]، والثّاني: بالوَهْمِ والتَّخيُّل، نحو قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: 50]، والثّالث: بالتَّفكُّر، نحو: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال: 48]، والرّابع: بالعَقل، وعلى ذلك قوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النّجم: 11]، والرَّأْيُ:

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 10/362 - 363.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رأى).

اعتقاد النَّفس أحد النَّقيضيْن عن غلَبَة الظَّنِّ، وعلى هذا قوله: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ [آل عمران: 13]، والرُّؤْيا: ما يُرى في المنام[1]، والرُّؤْيَةُ بالعَيْنِ تَتَعَدَّى إلى مَفْعولٍ واحِدٍ، وبِمعنى العِلْمِ تَتَعَدَّى إلى مَفْعولَيْنِ، والمقصود بالإراءَةِ في الآية: إراءةٌ بصريَّة، والمُرادُ: رُؤيةُ آثارِ ذلكَ النَّقْصِ[2].

2) ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: الواوُ والفاءُ والحرف المُعتلّ تَدُلُّ على إكْمالٍ وإتْمامٍ، مِنْهُ الوَفاءُ: إتْمامُ العَهْدِ وإكْمالُ الشَّرْطِ، ووَفَى: أوْفَى، فهو وفي. ويَقولونَ: أوفَيتُكَ الشَّيءَ، إذا قَضَيْتَهُ إياهُ وافيا، وتَوَفَّيتُ الشَّيءَ واسْتَوْفَيْتُهُ؛ إذا أخَذْتَهُ كُلَّهُ حتَّى لم تَترُكْ منه شيئًا[3]، والوفاة: المَنية، وتُوُفّي فلان، وتوفّاه الله، إذا قَبض نَفْسَه[4]، وتَوَفّي الميت: اسْتيفاءُ مُدَّته الّتي وُفيتْ لَهُ وعَدَد أيامه وشُهوره وأعْوامه في الدُّنْيا، وتَوَفَّيْتُ المالَ مِنْهُ واسْتَوْفَيته إذا أخذته كُلَّهُ[5]، والمقصود بالتَّوَفّي في الآية: الإماتَةُ؛ سُمّيتْ تَوفّيا؛ لأنَّها تُنهي حياةَ المَرْءِ أوْ تَستوفيها.

## ❁ المَعْنى الإجْماليّ:

يقول الله ﷻ لنبيِّه ﷺ تطمينًا لخاطره وتهدئةً لنفسه: وإمّا نُرينَّك - يا نَبيَّنا - في حياتِك بعضَ العذابِ الّذي نعِدُ به المُشركينَ لكُفرِهم مِن الهلاكِ بالسَّيفِ يومَ بدرٍ، ويومَ الفتحِ، ويومَ حُنَين وغيرها من أيّام الإسلام في حياةِ النبيِّ ﷺ، أو تَوفَّيناكَ قبلَ أن نُريك عذابَهم، مثل عذابِ أهلِ الرِّدَّة؛ فإنَّ مُعظمَهم كان من المكذِّبينَ المُبطِنين الكُفرَ مثل: مُسيلمة الكذاب[6]؛ فليس عليك سوى

**الأعـمـار تقصر عن إدراك جميع ما تأتي به الأقدار**

(1) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفاظ، والزّبيديّ، تاج العروس: (رأى).
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 7/496.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وفى).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (وفى).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (وفى).
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/170.

تبليغِهم رسالةَ الله في كِلا الحالَيْن، وعلينا نحنُ - لا عليك - محاسَبةُ العباد، ومُجازاتُهم على أعمالِهم؛ ثوابًا أو عِقابًا[1].

### ❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيّ:

**دلالة الواو في قوله: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾:**

عطف الرّؤية، لإرادة البَيان على شُمول مشيئتِهِ ﷻ

الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ معطوفة على قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾؛ لأنَّ الأولى تفيد عمومَ ما يريده الله تعالى، والعموم فيه إبهامٌ، فجاءت الجملة الثّانيةُ المعطوفة لبيان مُهمَّة الرَّسول في بلاغ الدَّعوة دون تحقيق الهداية للمدعوّين؛ لأنّ النّبيّ ﷺ "ليس مأمورًا بالاشتغال بذلك، ولا بترقُّبه، وإنّما هو مبلِّغ عن الله لعباده، والله يعلم ما يحاسِب به عباده سواء شهد النّبيُّ ﷺ ذلك أم لم يشهدْه"[2].

**دلالة التّعبير بـ ﴿وَإِن مَّا﴾ في الشَّرط:**

تأكيد مضمون الشّرط المَسوقِ على سبيل الافتراض

عبّر النّظمُ الكريم بأسلوب الشّرط في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾، وذلك بالأداة (إمّا) الّتي أصلها (إن)، وأُدْخِلَت عليها (ما) الّتي تُفيد تأكيدَ معنى الشّرط[3]، وتوكيدُ الشَّرط توكيد للتَّعليق كلِّه؛ أيْ: إنَّ الارتباط بين الشَّرط والجواب مؤكَّد.

أمّا (ما)؛ فجيء بها لتهيئة الفعل لدخول نونِ التّوكيد الّتي لا يصحّ اقتران فعل الشّرط بها إلّا في حال دخول (ما) بعد (إن). ولَمّا كان الشّرط على سبيل الافتراض لا اليقين؛ جيء بالأداة (إن) الدّالةِ على فرضيَّة الشّرط لا على إمكان تحقّقه، وليست زائدةً كما يُعبِّر بعضُ النَّحويّين، بَل إنَّما أُتي بها للدّلالة على توكيد التَّعليق[4].

---

(1) ابن جرير، جامع البيان: 13/574، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 9/333، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/472.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/169.

(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/27.

(4) محمّد أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/3968.

### سِرُّ التَّعبير بالرُّؤية ﴿نُرِيَنَّكَ﴾:

رؤية النّبيّ ﷺ العذابَ، تقتضي وقوعَهُ عاجلًا في حياته

آثر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بالرّؤية، في قوله تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ دون أن يقول: (نوقِع بهم العذاب) مثلًا؛ لأنّ الرّؤية تقتضي أنّ ذلك سيقع في حياة النّبيّ ﷺ، ليكون ذلك قرّة عينٍ له ولأصحابه ﷺ؛ أيْ: سيقع العذاب - وأنت حيٌّ - بمَن آذوك وعارضوا دعوتَك أو ما يريدُ أصحابُك الّذين أوذوا في سبيل الدَّعوة، فثبت وقوعُه إقرارًا لأعينِكُم قبلَ وفاتك وإقرارًا لأعينِ أصْحابِك[1].

ومن نِكاتِ إيثار التَّعبير بالرُّؤية عن البصر: أنَّ الرؤيةَ أعمُّ، فتشمل رؤية البصر وتأتي بمعنى العِلْم، وبمعنى الخبرِ، وبمعنى الرُّؤية القلبيَّة، ولمّا كانت الرُّؤية متعدِّدَةَ المعاني؛ ناسب التَّعبير بها؛ لأنَّ بعض ألوان العذاب الّذي حلَّ بالمشركين رآه رسولُ الله ﷺ في غزوة بدرٍ ونحوها، وثَمَّ ألوانٌ مِنَ العذاب للكافرين يعلَمُها رسولُ الله ﷺ بطريق الإخبار من جنوده، كما في بعضِ السَّرايا الّتي لم يَحْضُرْها رسولُ الله ﷺ.

### سِرُّ التَّعبير بالمضارع ﴿نُرِيَنَّكَ﴾:

رؤيــة الـرَّسـول ﷺ عــذابَ الـكـافـريـن، مـتـجـدّدةٌ ومتكرّرةٌ

آثر النّظمُ الجليل التَّعبيرَ بالفعلِ المضارع ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ للدّلالة على حدوثِ رُؤيته ﷺ لعذاب الكافرين، وأنّها متجدّدة متكرّرة.

### دلالة التأكيد بنون التَّوكيد ﴿نُرِيَنَّكَ﴾:

تـأكـيـد وقـوع الـعـذاب، يَنْفي أسبابَ الشَّفقة

أدخل النّظم البليغُ نونَ التّوكيد على الفعل في قوله تبارك اسمه: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾؛ لتأكيد الخبر وتقوية مضمونه، فأكّد إعلامه "بأنّه لا حرج عليه في ضلالةِ مَن ضلّ بعد إبلاغه؛ نفيًا لِما يحمِلُه عليه ﷺ شدّةُ رحمته لهم وشفقتُه عليهم مِن ظنٍّ أنّه عليه

(1) البقاعيّ، نَظْم الدّرر: 10/363.

أن يَرُدّهم إلى الحقِّ حتمًا"[1]، فإبْلاغُهُ ﷺ بأنّ العذاب مؤكَّدٌ يَدْفَعُ عنهُ التّأسّي عليهم والشَّفقة عليهم بِأنْ لَم يُدْركوا الإيمانَ.

**سِرُّ التّعبير بقوله: ﴿بَعْضَ﴾:**

عبَّرَ النّظم الكريم بلفظ (بَعْضَ) في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ للدّلالة على إراءة بعضِ الموعود من العذاب الدُّنيوي وتحقّقه لهم في حياة النّبيّ ﷺ، وفائدةُ ذلك: الإنذارُ "بأنّ الوعيد نازل بهم ولو تأخّر، وفيه دلالة إعجازيَّة بأنّ هذا الدّين يستمرّ بعد وفاة رسولِ الله ﷺ؛ لأنّه إذا كان الوعيد الّذي أُمِرَ بإبلاغه واقعًا ولو بعد وفاته؛ فبالأوْلى أن يكون شرعُه الّذي لأجله جاء وعيد الكافرين به شرعًا مستمرًّا بعده، ضرورةَ أنَّ الوسيلةَ لا تكون مِنَ الأهميَّة بأشدَّ مِن المَقصدِ المقصودةِ لأجله"[2].

مِـنَ الإنــذار ما يـقَـعُ في حياة النّبيّ ﷺ

**دلالة التّعبير بالاسْمِ الموصولِ ﴿ٱلَّذِى﴾:**

آثر النّظم الكريم التّعبيرَ بالاسْم الموصول ﴿ٱلَّذِى﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾؛ لأنّ ما وعدوا به معهود معروف، فأُريد الإحالة إلى ما وُعِدوا به، ولا يكون جزاء إلّا بما سبقَ الوعيد به.

مـا وُعِــدوا به، معلومٌ مشهور، واللـه لا يخلف وعده

**سِرّ التّعبير بقوله: ﴿نَعِدُهُمْ﴾:**

في قول الله تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾، أطبق النّظمُ الكريم على الوعيد وعدًا؛ لأنّ الوَعْد يكون في الخير والشّرِّ، يُقال: وعَدْتُهُ بنفعٍ وضرٍّ، والوَعيدُ في الشّرّ خاصّةً[3]، وإنّما استعمل الوعد هنا دون الوعيد، وسمّاه وعدًا؛ لتنزيلهِم إيّاه في طَلَبِ نُزوله منزلةَ الوعدِ، ولِكَوْنِهم سألوهُ وانْتَظَروه، فكان بمنزلةِ الوعْدِ[4].

تـنـزيـل الـوعـيـد مـنـزلَـةَ الـوعْـدِ، إذا كـان مُـنتظرًا بيقين

(1) البقاعيّ، نَظْم الدّرر: 10/3631.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/169.
(3) الرّاغب، المفردات: (وعد).
(4) البقاعيّ، نَظْم الدّرر: 10/363.

**دلالة التّعبير بالمضارع ﴿نَعِدُهُمْ﴾:**

وعدُ الله تعالى عبادَه، دائمٌ متجدّدٌ، ووعده يقين لا ريب فيه

آثر النّظمُ الجليل التّعبيرَ بالفعل المضارع ﴿نَعِدُهُمْ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾؛ للدّلالة على تجدّد الوعد؛ أيْ: "نعدهم وعدًا مُتجدّدًا حسبما تقتضيه الحكمةُ من إنذارٍ عَقِبَ إنذار"[1]، فلمّا كان ضلالُهم مُستمرًّا مُتجدّدًا كان الوعيد كذلك، وهذا من جَليل لُطْفِ الله تعالى بِهِمْ.

**سِرُّ التّعبير بـ ﴿أَوْ﴾ في: ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾:**

المعطوف والمعطوف عليه في الشّرط، مستويان في الاحتمال

جاء العَطْفُ بحرف العطف ﴿أَوْ﴾ في قوله تعالى: ﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ للتّسوية بين المذكورَيْن؛ لأنّ كِلَيْهِما ذُكِرَ في سياق الشّرط الافتراضيِّ بلا مرجّح لأحدهما، فكانا في مقامٍ واحد من حيث الاحتمالُ؛ أي: "الذي عليك والّذي إلينا مُسْتَوٍ بالنّسبة إلى كلتا الحالتيْن"[2].

**بلاغة التّعبير بالتّوفية ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾:**

لن تموت نفسٌ إلّا بأجلها، ولكلّ أجل كتاب

آثر النّظم الكريم التّعبير بالتّوفية دون الموت في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾؛ للدّلالة على أنّ الأجل سيأتي بعد استيفاء العُمُر الّذي كتبه الله تعالى، وهذا ما أكّده كثيرٌ من آيات القرآن من أنّ الوفاة تعني استيفاءَ المدّة المضروبة لحياة الإنسان، قال تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: 61]، وقال سُبحانه: ﴿۞قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السّجدة: 11] ونحو ذلك من الآيات الّتي يَظْهَرُ فيها استيفاء المدّة المضروبة للإنسان في هذه الدُّنيا.

**سِرُّ التّعبير بـ (نون التّوكيد) في ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾:**

أكّد الفعلُ الثّاني، جريًا على تأكيد الفعل الأوّل

أدخل النّظمُ الجليلُ نونَ التّوكيد على الفعل المضارع (نتوفّى) في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾؛

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/27.
(2) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 10/363.

لأنّه جاء بمقابل الفعل المؤكّد ﴿نُرِيَنَّكَ﴾[1]؛ ليجريَ ذِكْرُ الاحتمالات على نسَقٍ واحد، فلو أُكِّد الفعلُ الأوّل دون الثّاني؛ لأشار ذلك إلى أنّ وقوع الأوّل أرجحُ من الثّاني، ولمّا كان كلاهما واقعًا في فعل الجملة الشّرطيّة المبدوءة بـ (إن) الدّالّةِ على عدم الوقوع؛ دلَّ ذلك على أنّهما متساويان في كونهما مُفْتَرَضَيْنِ افتراضًا، فلا مُرجِّح يُرجّح أحدَهما على الآخر؛ لِذا كانَ نسَقُ التّعبيرِ فيهما واحِدًا. وفيه إشارة إلى أنَّ الرَّسول ﷺ تَجْري عليه أحكامُ البشريَّة من الموت، وفي ذلك دفعٌ لتوهُّم أنَّ الأنبياء لا يجري عليهم ذلكَ، وفيه تحذيرٌ للمشركين من سوء عاقبتهم في الآخرة بأنَّهم سيموتون ويُحاسَبون على ما قدَّموا.

### دلالة الفاء في قوله: ﴿فَإِنَّمَا﴾:

افتَتَحَ النّظمُ الكريم الجملة، في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ بالفاء للدّلالة على التّعليل[2]، تعليلًا لمضمون الجملة في قوله تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾، فإنّ أمرَ العذابِ ليس من شأن أحد إلّا الله تعالى الّذي من خصائصهِ محاسبةُ عبادِه.

العقاب من الله تعالى عظيم، والبلاغ يكون من الرَّسول الكريم

### دلالة حذف جوابِ الشَّرط في الآية:

قولُ الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾، ليسَ هو جوابَ الشَّرْطِ وإنَّما يدلُّ عليه، والجوابُ: محذوفٌ، تقديره: أنزلنا بهم ما وعدْنا وأرَيْناكَ مصارِعَهُم، وذلك لأنَّ الآية فيها شَرْطانِ؛ لأنَّ المعطوف على الشَّرْطِ شرطٌ، والمقصود قوله: ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾، والمعنى على جَعْلِ قوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾، جوابًا للشَّرط الثّاني لا يكون صحيحًا؛ لأنَّه يُفْهَمُ منه وجوبُ التَّبليغ عليهِ ﷺ بعد وفاتِه، ومِنَ المعلوم أنَّ التَّكليف يَنْقَطِعُ بعدَ الوفاةِ[3].

الآيـــة فيـها شَـــرْطـــانِ، والمعطوف على الشَّرْطِ شرطٌ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/169.
(2) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 7/147.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/399.

**دلالة التَّعبير بلفظ ﴿فَإِنَّمَا﴾:**

دلَّ التَّعبير بـ ﴿فَإِنَّمَا﴾ في قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ على أنَّ وظيفة الرَّسول ﷺ هي التَّبليغ لا طلب الآيات وإنزال العقوبات؛ لأنَّ التَّعبير بـ (إنّما) يدلُّ على الحصر والقصر، والمعنى: ليس عليك غير البلاغ، وهو إمرارُ الشيءِ إلى منتهاه، والمُراد به: الرِّسالةُ، فليس عليك محاربتُهُم، ولا أن تُلبّيَ ما أرادوا من مقترحاتٍ[1].

وَظيفَةُ الرَّسول ﷺ، هي التَّبليغ المبين عن الله ﷻ

**سرُّ تقديم الخبر على المبتدأ في الآية:**

قدّم النَّظمُ الكريم الخبر ﴿عَلَيْكَ﴾ على المبتدأ في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾، ولم يقل: (البلاغُ عليك)؛ لأنّ المُرادَ تعيينُ المحصور فيه؛ أيّ: تبليغ أحكام ما أنزلنا عليك وما تضمَّنه من الوعد والوعيد لا تحقيق مضمون الوعيد الّذي تضمَّنه ذلك، فالمقصور عليه البلاغ، ولهذا قُدِّم الخبرُ[2].

ما على الرَّسول إلّا البلاغ، والله عاصمُه من الأذى، وموفّقه للهدى

**دلالة التَّعبير بقوله: ﴿عَلَيْكَ﴾:**

عبّر النّظمُ الكريم بقوله: ﴿عَلَيْكَ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ للدّلالة على الوجوب، فهي مستعملَةٌ في الإيجاب والإلزام، فالبلاغ واجب على النَّبيِّ ﷺ لله تعالى[3]، والوجوب يتأتّى من دلالة الاستعلاء في حرف الجرّ (على).

الاستعلاء دالٌّ على الإلزام

**دلالة الواو في قوله: ﴿وَعَلَيْنَا﴾:**

الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾، معطوفة على الجملة في قوله تعالى: ﴿عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾، فهي مشتركة معها في الدّخول تحت القصرِ المدلول عليه بالحرف (إنّما)، والتّقدير: وإنّما علينا الحساب؛ أيّ: محاسبتهم على التّكذيب[4].

مـحـاسـبـةُ العباد على الله سُبحانَهُ، ولا أحد غيره يفعل ذلك

(1) البقاعيّ، نَظْم الدّرر: 10/363.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 13/172.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/170.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/170.

### دلالة تقديم الخبر في قوله: ﴿وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾:

محاسبة الخلق، مخصوصة بالله دون سواه

قدّم النّظمُ الكريم الخبرَ شبهَ الجملة ﴿وَعَلَيۡنَا﴾ على المبتدأ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾ للدّلالة على القَصر؛ أيّ: علينا لا عليك محاسبةُ أعمالهم السّيِّئةِ والمؤاخذةُ بها، فعلينا ذلك وما عليك إلّا تبليغُ الرّسالة، فلا تهتمّ بما وراء ذلك، فنحن قد كفيناكَ ذلك، فلا يُضجِرْك تأخّرُه على ما تقتضيه المصالحُ الخفيَّةِ[1].

### سرُّ التّعبير بالحساب في الآية:

عدالة الله تعالى، تقتضي أن يكون الحسابَ قبل العقاب

عبّر النّظم الجليل بالحساب دون الجزاء أو العقاب في قوله تبارك اسمه: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾؛ وهو يعني هنا: "جزاء كلّ عامل بما عمل في الدّنيا والآخرة"[2]، فعبّر بالحساب للدّلالة على أنّ الجزاء لم يكن إلّا بعد حساب، فيكون ما ينتج عنه واقعًا على ما يقتضيه العدلُ، ولم يُعبِّر بالعقاب؛ لأنَّه نتيجةُ الحسابِ؛ فالتَّعقيب أنْ يأتي بشيء بعد آخر؛ لذلك كان الحسابُ أوَّلًا، ثُمَّ يأتي العقابُ بعدُ.

ومِنْ نكاتِ التَّعبير بالحساب دون العقاب: أنَّ الحسابَ في ذاته عقابٌ لهم على ما آذوا المؤمنين، وهم مستمرّون في غلوائهم، وذلك كقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ٢٤ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ٢٦﴾[3] [الغاشية: 21 - 26].

### بلاغة الاحتباك في الآيةِ الكريمة:

الذِّكر والحذف في السّياقيْن، غايته المسرّة بالوعد، وامتداد الوعيد

في هذه الآية أسلوبُ احتباكٍ؛ حيثُ ذُكِرَ أوَّلًا الإراءة دليلًا على حذفِها ثانيًا، والوفاة ثانيًا دليلًا على حذفها أوَّلا أو حذف ضدِّها[4]. فالمُلاحَظُ أنَّه صَرَّح في الأولى برؤية بعضِ ما يَعِدُهم؛ لأنَّ ذلك

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/27.
(2) البقاعيّ، نَظْم الدّرر: 10/363.
(3) محمّد أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/3969.
(4) البقاعيّ، نَظْم الدّرر: 3/449.

أبْعَثُ على الاطمئنانِ وإدخال السُّرور عليه ﷺ، وحَذَفَها من الثّاني لوضوحِ فَهْمِها من ذِكْرِ المقابل ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾، وصَرّح في الثّاني بالوفاة؛ لأنَّها تفيد امتدادَ الوعيد وتسلية النَّبيّ ﷺ، وحَذَفَها مِنَ الأوَّل لوُضوحِ فَهْمِها مِنَ الإراءة في قوله تعالى: ﴿نُرِيَنَّكَ﴾.

**التّشابه اللّفظيّ في الآية:**

بيان تخصيص كـلّ آيــة بما فيها من حرفي العطف، ومن جواب الشّرط

تشابه قوله تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ مع قوله تعالى في سورة غافر: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [غافر: 77]، فلِم خُصّت كلّ آية بما فيها من حرفي العطف ومن جواب الشّرط؟ والجواب عن ذلك أن يُقال: يلاحظ أنّ الآية في سورة الرّعد مسبوقة بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾، فلمّا كان الحديث موصولًا مع الرّسول ﷺ؛ ناسبه العطف بالواو بقوله: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾، ولمّا كان الرَّسول ﷺ يحزن لعدم قدرته على الإتيان بما يقترحونه من الآيات؛ لحرصه على إيمانهم؛ ناسبه أن يُسَرّي الله تعالى عنه بقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾.

أمّا الآية في سورة غافر؛ فهيَ تَبْدَأُ بقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ﴾ [غافر: 77]؛ فلمّا كان ذلك سببًا لتَفْصيلِ الوعد؛ ناسبه العطفُ بالفاء بقوله: ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ [غافر: 77]، ولمّا كان السّياقُ أكثرَ تعلّقًا بترهيبِ الكافرين؛ ناسبَهُ قولُهُ جَلَّ شأنُه: ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [غافر: 77].

## ❁ الفُروقُ المُعْجَمِيّةُ:

### الوفاة والموت:

الموت ضـدّ الحياة، والوفاة استيفاء الأجل بتمامه

الموت من (مَوَتَ)؛ وهو دالٌّ على ذَهاب القوَّةِ مِنَ الشَّيْءِ[1]، وهو ضِدُّ الحَياةِ[2]، وأمّا الوَفاةُ فهي كَلِمَةٌ تَدُلُّ على إكْمالٍ وإتْمام[3]، وهي المَنيةُ، والمَوْتُ، وتوُفي فُلانٌ وتَوَفّاه اللّه؛ إذا قَبَضَ نَفْسَه، وتَوَفي الميتِ: اسْتيفاءُ مُدَّتِه الَّتي وُفيتْ لَهُ وعَدَد أيامِه وشُهوره وأعْوامه في الدُّنْيا[4]، وقد عبّر عنِ الموتِ بالتَّوَفّي، قال تعالى: ﴿ٱللَّـهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزُّمر: 42]، ﴿۞قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السّجدة: 11][5]، فالإخبارُ في الآية بالوفاة ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ دليل على أنّ الوفاة تكون في الأجلِ التّامّ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (موت).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (موت).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وفى).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (وفى).
(5) الرّاغب، المفردات: (وفى).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 24 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-21-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 24 : المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-768-21-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1718375 بتاريخ 2024/02/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»